دلالة لفظة (اقرأ) في قوله تعالى
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)

م.د. حسين صالح ظاهر م.م. ميثم احمد عبد حمزه

جامعة الامام الصادق(ع)

المقدمة

لاشك أن اللغة من أهم قنوات التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد ؛ فهي التي تستعمل للتفاهم وإيصال مقاصدهم في كلّ أمور حياتهم، وهم يتكلمون على وفق نظام لغوي متشابك من العلاقات التي تساهم في إنتاج الدلالة، وقد أطلق عليه البحث الحديث مصطلح (أداة من أدوات التماسك النصي)، وكذلك تدخل عوامل خارجية أثناء التواصل أو التخاطب لعل أهمها السياق والمقام المصاحب وغير ذلك مما يؤثر في عملية التخاطب .
فالعملية التواصلية قائمة على أسس من أهمها المتكلم والمتلقي أو المستمع فمن دونهما لا فائدة من بقية العوامل، فهما من يجعل التواصل ناجحا أو فاشلا، فللمتكلم أثره كما للمستمع أثره، فالمتكلم يجب أن يراعي بعض القوانين اللغوية في عملية التخاطب، ولإنجاح عملية التواصل يستعمل المتكلم مفردات متداولة، وتراكيب مستعملة ومقبولة في النظام اللغوي المتبع في تخاطبهم.

والقرآن الكريم نزل بلغة عربية فصيحة لها نظامها المتبع والمتفق عليه في الاستعمال اللغوي، وبانتشار الإسلام وابتعاد الحقبة الزمنية بالمسلمين عن السليقة وظهور اللحن بدأت تظهر بعض التأويلات الخاطئة للآيات القرآنية، وهذه التأويلات قد ذهب بها المفسرون بعيدا، ولعل أهمها قوله تعالى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ }، وأكثر هذه الدلالات غرابة هي تأويل الآية على المعنى الحرفي للفعل (اقرأ) التي أنبنى عليها فكرة (أميّة) الرسول (صلى الله عليه وآله)، أي : عدم معرفته القراءة والكتابة .
هذا البحث محاولة لإثبات أن المقصود بـ (اقرأ) ليس المعنى الحرفي الذي فهمه من لم يتبع طرائق العرب في تفسير بعض الآيات، فبحثنا آية { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ }، مع بعض الآيات التي جعلها قسم من المفسرين دليلا على ما ذهب إليه في أن الرسول (صلى الله عليه وآله) (أمي) . متبعين الاتجاه التواصلي، والاستعمال اللغوي للمفردات وكيف أنها تتناوب في المعنى ويكون اللفظ واحدًا . مما يجعلنا نقرأ الآية الكريمة بدلالة أقرب إلى الصواب، والقصد الذي أراده القرآن الكريم .

التمهيد

يرى أغلب اللغويين من القدماء والمحدثين أن اللغة هي أداة للتعبير عن أغراض الناس، أو للتواصل فيما بينهم، فاللغة هي القناة الأهم في التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد، وهي خاصية إنسانية بايولوجية أي وراثية على وفق اتجاهات البحث اللغوي المعاصر ولاسيما الاتجاهات العقلية . وتمتاز اللغات بسمات خاصة تجعل كل بيئة لغوية لها خصوصية تتحكم بنظامها اللغوي الذي يستعمله أبناء اللغة،

واللغة العربية ليس بدعا عن باقي اللغات الحية من جهة امتلاكها لنظام لغوي، وأساليب تستعمل لإيصال المقاصد، ولعلها اللغة الوحيدة التي احتفظت بنظامها وطرائق التعبير الخاضعة للقواعد اللغوية منذ وقت بعيد إلى يومنا هذا، إذ يقرأ العربي في القرن الحادي والعشرين نصّا من نصوص ما قبل الإسلام فيفهمه، أو على الأقل يفهم أكثره، على عكس بعض اللغات الحية التي عرفت مثل اللغة السنسكريتية واليونانية واللاتينية فهذه اللغات التي عاصرت العربية القديمة لم تعد تستعمل إلا على نطاق دراسي ضيق. أما العربية فيعود الفضل الأول في بقائها للقرآن الكريم الذي نزل بالعربية، فحفظ لنا طرائق كلام العرب، وأساليبهم الكلامية المستعملة للتواصل على الجهة الأفصح، إذ أصبح القرآن مدار الدراسة اللغوية مثل النحو والبلاغة والفقه، وكل هذه الدراسات هي لفهم معاني القرآن، فانطلق اللغويون الأوائل إلى البادية بحثا وطلبا لكلام العرب الفصيح الذي لم يخالطه الفساد أو اللحن، فجمعوا ثروة لغوية هائلة رفدت الدارسين بقضايا مهمة في فهم القرآن قديما وحديثا.

فقد عرف أهل اللغة أن القرآن لا يفهم ولا تتوضح مقاصده في التبليغ تماما ما لم يفهموا أسلوب العرب في كلامهم مع المقامات التي يقال فيها النص، وهو ما أطلق عليه المحدثون العرب والغربيون بـ (النظرية التواصلية). فضلا عن البحث في مقصد المتكلم وكيفية استعمال اللغة ليوصل قصده إلى المتلقي على أحسن وجه دون لبس أو فساد في المعنى.

فالقرآن نزل بلغة العرب، واتبع سمتهم في التعبير وإيراد التراكيب للمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فأورد الألفاظ على وجوه للمعاني لا يعرفها إلا من نشأ في العربية الفصيحة سليقة أو دراسة . وعدم معرفة طرائق العرب في إيراد كلامها قد يسبب إرباكا ولبسا حينما يفسر معنى من المعاني وهناك شواهد كثيرة من الآيات إذا ما حملت على معناها الظاهري، أو معنى الكلمة المعجمي تعطي معنى غير المقصود مما يسبب لبسا عند المتلقي كقوله تعالى:{ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } [١] . وقوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ }[٢] وقوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ }[٣]. وغيرها من الآيات .

وهناك شواهد كثيرة من آيات القرآن الكريم حملت على غير ما قصده القرآن الكريم ولاسيما في الحقبة المتأخرة بعد انتشار الإسلام، فهي لم تثار أيام الإسلام الأولى، لأنها نزلت بين أصحاب السليقة الصافية فعرفوا المراد منها، كما لم تظهر الأهواء والفرق عندهم مما يجعلهم يفسرون كلام الله على حسب أهوائهم ولوجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين ظهرانيهم .

ولعل الآية الأولى التي نزلت في الإسلام هي من أكثر الآيات التي تأولها المفسرون كل حسب فهمه، وعلمه، ومعرفته باللغة وهي قوله تعالى { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } وتحديدا في لفظ (اقرأ) الذي أدى تأويله على المعنى المعجمي أو ظاهر الآية إلى القول بعدم معرفة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) القراءة والكتابة، وتشعبت الآراء حتى وصلت إلى أن المستشرقين وغيرهم بنوا فكرة عن الرسول بعدم معرفته لهذا الأمر مما أدى إلى أن يجعلوه مثلبة في شخصية الرسول(صلى الله عليه وآله).

في هـــذا البحث لا نريد عرض آراء هؤلاء ولا غيرهم الذين قالوا بعدم معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولا إلى آراء الذين قالوا بمعرفته (صلى الله عليه وآله) . بل سندرس الآية الكريمة { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } وبعض الآيات الأخرى التي أنبنى على ظاهرها فكرة عدم معرفة القراءة والكتابة . وعلى وفق الاتجاه التواصلي وذلك بدراسة الاستعمال العربي الفصيح المتداول بين العرب كمجتمع لغوي واحد أيـــام الدعـــوة ؛ لأن القـــرآن قد نـــــزل بلغتهم لقولـــه تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ } [٤] وقوله تعالى { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } [٥] وقوله تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا } [٦] وقوله تعالى { وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ } [٧] .

أولا - مراعاة حال المتلقي :

يرى الباحثون على وفق الاتجاه التواصلي أن أية عملية تواصلية ناجحة بين طرفي الاتصال وهما المتكلم والمتلقي أو المستمع يجب أن تراعى فيها مجموعة من العوامل مثل : السياق والمقام، وحال المتلقي، ودرجة ثقافته، مع وجوب إتباع القانون اللغوي وقواعده النحوية التي تحكم أي مجتمع مدني حضاري في

التواصل . وهذا لا يعني أن مراعاة حال المتكلم مسألة تحسب للمحدثين، بل هي موضع اهتمام ودراسة عند القدماء كما هي عند المحدثين، لما لها من أهمية في نجاح عملية التخاطب وإيصال مقصد الكلام، وكان الباعث الأهم عند القدماء في البحث لهذه المسألة هو لفهم واستيعاب الآيات الحكيمة للقرآن الكريم والتي نزلت بلغة العرب الفصحى، لأن ((العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون)) [٨] . فقد رأى القدماء أنه لابد من فهم لغة العرب وسننهم في الكلام، وكيفية تواصلهم وعن طريق هذا الفهم نتوصل إلى معاني القرآن، فالمتكلم ((لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد كما يرى الأصوليون محدد عند المتكلم وثابت لا يتغير، وهو لذلك يتخذ من الرسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد)) [٩]. وعلى المتكلم إذا أراد أن يقيم اتصالا ناجحا ((أن يلتزم مع ذلك الإطار المتعارف عليه في واقع الاستعمال اللغوي بضوابط استعمالية شائعة . . . وذلك حسب نظام اللغة وقوانينها)) [١٠] . وأهمية مراعاة حال التلقي من المتكلم أدركها أغلب اللغويين، إن لم يكن كلهم فالجاحظ يقول : ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعنى، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، ويقسم أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)) [١١] . فالاهتمام بهذه المسألة تشمل كل فروع اللغة، سواء في ذلك المعتنين بالبلاغة، أو المهتمين بالنحو، وغيرهم، يشير أحد الباحثين إلى اهتمام البلاغيين فيقول : ((من أجل ذلك اتجه البلاغيون وهم في سبيل وضع أصول الأسلوب البليغ، وما ينبغي أن يراعيه المتكلم من مقتضيات حال السامع ليبلغ الغرض الذي يريده من كلامه))[١٢]، ويشير سيبويه إلى هذه المسألة بقوله : ((ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني)) [١٣]، وأفرد المبرد بابا سماه (هذا باب المخاطبة) أورد فيه بعض قواعد التخاطب الخاصة في الاستفهام إذ قال : ((فأول كلامك لما تسأل عنه، وآخره لمن تسأله)) [١٤]، وخلص أ حد الباحثين إلى أن المتكلم ((يجب أن يكون كالطبيب مع المريض، يشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها، فحق للكلام أن يكون بقدر الحاجة)) [١٥] .

فمراعاة حال المتكلم مسألة معروفة عند العربي وحاضرة في فكره عند التخاطب ؛ فالرسول (صلى الله عليه وآله) بوصفه عربيا فصيحا ((كان يخاطب الوفود القادمة عليه من القبائل العربية من شتى انحاء الجزيرة العربية، كان يخاطبهم بلسانهم ولهجاتهم)) [١٦] .

وعلاقة المتكلم والمستمع أدت بالباحثين إلى القول بالمواضعة في اللغة، أي : انهم يتكلمون بعضهم مع بعض على وفق ثقافة ومرجعية واحدة فاذا ما قال المتكلم لفظة غير مشتركة لا يفهمها المستمع فسيكون هذا مما يخل بالفهم والافهام الذي يدور عليه الكلام، وهو ما اصطلح عليه في البحث الحديث (بالمناسب الاستدلالي) وهو ((مناسب ؛ لان المتكلم يستعمل المثير الاكثر ملاءمة لابلاغ افتراضاته . وهو استدلالي ؛ لان المتلقي يستدل على القصد الاخباري، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم . . . ويكون التواصل الاستدلالي المناسب بان ينتج المتكلم مثيرا واضحا للمخاطب)) [١٧] وعلى هذا المبدأ التداولي بين المتكلم والمستمع كان العرب يتواصلون ويتفاهمون، وكانوا يستعملون لغتهم على السليقة والطبع في تخاطبهم ((فالاستعمال هو المحدد لطبيعة المعنى، والمتحكم في توجيه عملية الفهم)) [١٨] .

وقد جاء في كلام العرب استعمال كثير لالفاظ، قد تعطي دلالة مختلفة تماما في حال حملها على معنى اللفظ الظاهر، أو حملها على المعنى المعجمي الذي وضعت لتؤديه وهناك شواهد كثيرة في شعرهم ونثرهم كقول الإمام علي (عليه السلام) : ((عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا)) [١٩]، وقول طرفة بن العبد : [٢٠]

وإنْ يَقذِفوا بالقَذعِ عِرْضَك أَسْقِهِمْ * * * بكأسِ حِياضِ المَوتِ قبلَ التّهدّدِ

ويشير الأنـــباري إلى هذه المسألة عندما ذكر معاني (أمة) فيقول : ((الأمة : تُبّاع الأنبياء، والأمة : الجماعة، والأمة : الصالح الذي يؤتم به، والأمة : الدين، والأمة : المنفرد بالدين، والأمة : الحين من الزمان، والأمة : الأم، والأئمَّة : القامة ؛ وجمعها أمم ؛ قال الأعشي :

وإنَّ مُعاويَة الأكرَمِينَ * * * حِسانُ الوُجوهِ طِوالُ الأمَم

في ألفاظ كثيرة يطول احصاؤها وتعدادها، تصحبها العرب من الكلام ما يدل على المعنى المخصوص منها)) [٢١] واتفق المحدثون بان بعض الالفاظ تتغير معانيها حسب السياق يقول أحد الباحثين : ((التعدد في المعاني في ميسم الفعل مثل :

١) غيّر الستائر ((بدّل)).
٢) غير زيد الرصاص إلى ذهب ((حول)) .
٣) غير زيد الدنانير إلى دراهم ((صرف)) .

فميسم الفعل هنا قد استبدلت فيه كل مرة سمات بسمات اخرى في مسار استعاري قائم على المشابهة، ويمكن أن يكون الفعل قد ضمن معنى فعل آخر هو الذي جاء بالاداة المصاحبة)) [٢٢]، ومعروف عن العرب ميلهم إلى المجاز والاستعارة إذ يعرف الجرجاني المجاز بقوله : ((أما المجاز فكل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول فهي مجاز)) [٢٣] ويقول آخر في اهمية المجاز في القرآن : ((لو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن؛ فقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة)) [٢٤] .

وقد جاء القرآن على سمت العرب في كلامها، وسنن خطابها، وقد وردت آيات تحوي ألفاظًا مستعملة بين العرب كلفظة (أولى) في قول الخنساء : [٢٥]

همت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسي أولى لها

وقال أبو دُؤاد الأيادي : [٢٦]

وأتاني تقصيم كعب لي المنطق إن النكيثة الإقحام

فالقرآن قد راعى حال المخاطب، أو المتلقي من كل جهات التواصل، كالسياق، والحالة النفسية، والثقافية، والاجتماعية وغيرها .

ثانيا ـ اقرأ بين المعجم والاستعمال :

١ـ الدلالة الوضعية:

أي على ما وضع له اللفظ في الأصل، وما ورد من معانيه في المعجم . قال الخليل بن أحمد في مادة (قرء) : ((وقرأت القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه، هكذا يقال، ولا يقال : قرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث)) [٢٧]. وقال أبو عمرو بن العلاء: ((دفع فلان جاريته إلى فلان تقرئها، أي: تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء، قال: إنما القرء الوقت))[٢٨]. وذكر الصاغاني معاني قرأ فقال: ((وقرأ: القارئ الوقت.

وفلان قرأ عليك السلام .

وأقرأت حاجتك : دنت، وأقرأت النجوم : تأخر مطرها، وغابت أيضا

وأقرأك السلام مثل قرأ عليك السلام

وقال الأصمعي : لا يقال إقرئه السلام .

وقارأت فلانا أي دارسته، واستقرأت فلانا)) [٢٩] .

وفي لسان العرب وردت معاني قرأ وهي :

((قرأ : القرآن : التنزيل العزيز...

وقرأت الشيء قرآنا : جمعته وضممت بعضه إلى بعض .

وقد يطلق على الصلاة ؛ لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه .

وقرأ (عليه السلام) يقرؤه عليه واقرأه إياه : أبلغه، وفي الحديث : إن الرب عز وجل يقرئك السلام .

يقال : اقرئ فلانا السلام واقرأ (عليه السلام)، كأنها حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام فيرده)) [٣٠] .

وفي صحاح اللغة قال الجوهري: ((أقرأت المرأة، إذا صارت صاحبة حيض . فإذا حاضت قلت: قرأت. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا، أي لم تضع رحمها على ولد . وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام . بمعنى)) [٣١] .

وقال الأزهري: ((ما قرأت هذه الناقة سلى قط، إذا لم يضطم، حمها على ولد وأنشد:

هجان اللون لم تقرأ جنينا

أبو الحسن اللحياني قال : قرأت القرآن وأنا أقرؤه قرء، وقرآنا، وهو الاسم، وأنا قارئ .

أبو الحكم عن الأصمعي : يقال اقرأ (عليه السلام) ولا يقال اقرئه السلام ؛ لانه خطأ وسمعت اعرابيا املى عليّ كتابا، وقال في آخره : اقترئ مني السلام)) [٣٢] .

وقيل في قرأ : ((والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل ما جمعت، لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم .

واقرأت فلانا كذا، قال : { سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى } الأعلى / ٦)) [٣٣] .

٢- اقرأ في الاستعمال :

الألفاظ في الاستعمال تتباين معانيها ودلالاتها، إذ تتدخل عوامل كثيرة في تحديد الدلالة المقصودة، كالسياق، والمقام، وحال المستمع، والظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بالنص في وقت إنتاجه من قبل المتكلم ((فالدلالة الأسلوبية السياقية؛ تعد جزءا من الدلالة الهامشية التي تطلق على ما يفهم من المحيط الاجتماعي للاستعمال))[٣٤]. فمستعمل اللغة السليقي يعرف مواضع الكلم، وتحديد دلالاتها بدقة، ويفهم الاستعمال المتناول للكلمات وتغير دلالاتها، والامثلة التي ذكرناها أوضحت الفكرة؛ و (اقرأ) كفعل ظهرت له دلالة مختلفة في المعجم منها المعنى الاصل وهو فعل القراءة، ومنها معنى الوقت، ومنها الحيض، ومنها الدرس ومنها بلغ. والمعنى الاخير أي (البلاغ) كثير الدوران على لسان العرب، فيستعملونه بمعنى بلغ سلامي.

فقد ورد على لسان سيد الكونين (صلى الله عليه وآله)، وهو افصح العرب إذ قال مخاطبا أحد الصحابة: ((اقرئ قومك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبّر)) [٣٥].

وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وآله) : ((اقرئوا على من لقيتم من أمتي بعدي السلام، الاول فالاول إلى يوم القيامة)) [٣٦] . وقوله (صلى الله عليه وآله): ((اقرئها السلام ورحمة الله واخبرها انها تعدل حجة معي)) [٣٧] .

وذكر ابن كثير رواية عن زيارة إبراهيم (عليه السلام) إلى ولده إسماعيل جاء فيها : ((فجاء إبراهيم (عليه السلام) بعدما تزوج ليطالع تركته : فلم يجد إسماعيل (عليه السلام) . . . قال : إذا جاء زوجك فاقرئي (عليه السلام)، وقولي له أن يغير عتبة بابه . . . فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا . . فقال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام)) [٣٨] .

وذكر قطب الدين الراوندي حادثة نأخذ منها قوله : ((فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكى جبريل فبعث الله اليهما ملكا فقال لهما : ان ربكما يقرؤكما السلام ويقول : قد امنتكما)) [٣٩] .

ولا يختلف اثنان في أن القرآن قد نزل بكلام العرب، وسننهم في التخاطب، مع اختيار المفردات الجزيلة والفصيحة، وظهر إعجازه إذ علم العرب أنها كلماتهم ولكنها تفوق قدرتهم في الوقت نفسه؛ لأنهم يعرفون مواضع الكلام، ففهموا الآيات ومعانيها التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وفهموا أن من معاني (اقرأ) هي بلغ أو أراد بها البلاغ لرسالة السماء لا غير ((فالعرب المسلمون الذين أدركوا فجر الدعوة الإسلامية، وعاشوا في عصرها الأول يدركون بفطرتهم اللغوية الصافية عناصر هذا الإعجاز البياني ومقوماته، دون الحاجة إلى تعيينها)) [٤٠] .

ثالثا - سياق قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) :

يتفق الباحثون على أن هذه الآية أول ما نزل من القرآن على الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلا يكادون يذكرونها إلا أشاروا إلى أولية نزولها، ذكر صاحب مجمع البيان ((عن ابن عباس . . . إن أول ما انزل الله من القرآن بمكة على الترتيب { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [٤١] ومفسر آخر يقول { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } وهذا أول ما نزل من القرآن)) [٤٢] وفي الكشف والبيان ورد ان ((هذه أول سورة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله))) [٤٣] .

وقد آثارت هذه الآية نقاشا وتأويلا من قبل المفسرين، والمهتمين باللغة، وسبب ذلك أن المعاني التي اورودها بنيت أغلبها على المعنى الظاهر للفظة (اقرأ) وهو معنى جاء من الرأي والاجتهاد الشخصيين لمن فسر، مع ملاحظة إن مسألة معرفة القراءة والكتابة أثيرت بعد زمن من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهو زمن الابتعاد عن السليقة اللغوية لذا تباينت الرؤى والمعاني في التأويل، ويرى بعض الباحثين إن سبب ((تعدد وجوه التاويل ليس راجعا في هذه الايات إلى قصور الجهاز النظري الذي اعتمد عليه التحليل، ولا إلى تضارب أصوله، انما راجع إلى ان المفسر والنحوي . .. قد حلا محل المخاطب الاصلي الذي وجه إليه الخطاب)) [٤٤] والباحث يشير إلى غياب السياق، والمقام المصاحب لفهم النص حين النزول، ولعل اكثر التأويلات التي ابتعدت عن سياق الاية، هو التأويل الذي نظر إلى المعنى الظاهر، للفعل (اقرأ)، فقد رأى أن المقصود هو المعنى الحرفي أي طلب القراءة .

ولو نظرنا إلى الروايات التي تحدثت عن نزول الآية وما صاحبها من سياق ومقام سنجد ان الباحثين ذكروا ثلاث روايات الاولى قول الرسول (صلى الله عليه وآله) (ما اقرأ؟)، والثانية، (ما أنا بقارئ)، والثالثة (أنا قارئ ولست بقارئ) . فقد ورد بسيرة ابن إسحق في بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) : " فقال : اقرأ، فقلت : ما اقرأ ؟ حتى ظننت انه الموت، ثم كشطه عني فقال : اقرأ، فقلت : ما اقرأ ؟ . . . فقال { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [٤٥]، وفي سيرة ابن هشام ذكر يوم البعثة جاء فيه :" فقال : اقرأ، فقلت ما اقرأ ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) فغثني حتى ظننت انه الموت فارسلني . . . فقال : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [٤٧] واحد الباحثين ذكر هذه الحادثة فقال : " حتى إذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالى فيها جاءه جبريل فقال له : اقرأ، قال له : فما اقرأ ؟ فقال : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [٤٨]، وذكر بعض المفسرين ليلة نزول جبريل (عليه السلام) فقال : ((ومن الأدلة ما روى عن جبريل (عليه السلام) قال للنبي (صلى الله عليه وآله): اقرأ قال : وما اقرأ ؟ كرر عليه ثلاث مرات)) [٤٩] .

وأما قوله (صلى الله عليه وآله) (اقرأ ولست بقارئ) فقد ذكره الشيرازي إذ قال : ((فقال : اقرأ، قال (صلى الله عليه وآله): اقرأ ولست بقارئ)) [٥٠] .

أما قوله (صلى الله عليه وآله) (ما أنا بقارئ) فقد ذكر اغلب المفسرين وكأنه حقيقة قارة عندهم، قال احد المفسرين : ((فجاءه الملك، فقال : (اقرأ) فقال : ما أنا بقارئ، قال فأخذين فغطني . . . فقال (اقرأ)، فقلت : ما أنا بقارئ . . . فقال : اقرأ، قلت ما أنا بقارئ)) [٥١] . وذكر ابن كثير في تفسيره ما نصه ((فجاءه الوحي وهو في غار حراء فقال : اقرأ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما أنا بقارئ)) [٥٢] . وبعض المفسرين بنى على استقرار هذه الفكرة أي : عدم معرفة الرسول الاكرم القراءة والكتابة، وفسر الآيات اللاحقة في السورة نفسها فقال : ((وجملة وربك الاكرم ((مستأنفة لازاحة ما اعتذر به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله : (ما أنا بقارئ) يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وهو أمي)) [٥٣] . وحاول بعض المفسرين توجيه دلالة (اقرأ) دون ان يفصلوا الصورة الدلالية تماما ولكنهم مقتنعون انها تعني الامر الحرفي بالقراءة، يقول الشوكاني : ((قرأ الجمهور (اقرأ) بسكون الهمزة امرا من القراءة . . . والامر بالقراءة يقتضي مقروءا، فالتقدير : اقرأ ما يوحى اليك، أو ما نزل عليك، أو امرت بقراءته)) [٥٤] .

ويقول الفخرالرازي : ((اقرأ باسم ربك)) أي : استعن باسم ربك، واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك)) [٥٥]، وقال الطوسي : هذا امر من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله)، ان يقرأ باسم ربه الذي خلق الخلق (([٥٦]، وقال اخر : " وفي الباء وجهان : الاول انها زائدة وزيف بانه خلاف الاصل وبان

معناه حينئذ : اذكر اسم ربك، أي اقرأ هذا القرآن باسم ربك أي مبتدئا باسم ربك ويحتمل المقروء الذي امر بقراءته هو " اسم ربك الذي خلق ((كأنه قيل اقرأ هذا اللفظ)) [٥٧] .
بعد هذا التفصيل الموجز لروايات المفسرين والمؤرخين حول اول آية في بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) سنحاول تحليل هذه الروايات ومناقشتها لعلنا نصل إلى قناعة تنزه الرسول (صلى الله عليه وآله).

أولا : الذين اوردوا قوله (صلى الله عليه وآله): (ما اقرأ ؟) .
هذا التساؤل أو الاستفهام مع المقام المصاحب نجده يتوافق مع طبيعة الانسان، عندما جاء الأمر على لسان جبريل (عليه السلام)، اقرأ ؛ فكان رد الرسول العفوي والطبيعي في مثل هذا الموقف الاستفهام بجملة (ما أقرأ ؟) وهو تساؤل مشروع عما يقرأ مع ملاحظة ان السياق والمقام يؤكدان هذا الموقف الطبيعي، فالرسول (صلى الله عليه وآله) في مقام يؤمر فيه بتنفيذ امر فلابد من التساؤل، وإذا ما أخذنا بظاهر الآية الحرفي وهو (اقرأ)، يكون مخالفا لسنن البشر في تواصلهم، فلكي يصح هذا الامر بـ (اقرأ) لابد من عرض شيء ليقرئ ؛ لذلك نجد بعضهم افترض صحيفة مكتوبة مع جبريل (عليه السلام) ليقرأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وهو ما ادى إلى اعطاء صورة خاطئة عن الرسالة السماوية، والنبي المختار ليبلغ الناس، ولاسيما عند المستشرقين الذين بنوا تصورا خاطئا يسيء للاسلام، يذكر باحث غربي هذه المسألة فيقول : " يعتقد ((فايل)) إن محمدا تلقى هذا الأمر بأن يتلوا ما أوحي إليه سابقا، ولا يتعارض هذا التفسير والنقل حسب . بل الاحتمال الذاتي للنص أيضا فلأي سبب أمر الله النبي، بواسطة تنزيل خاص، بان يتلو سورة كانت موجودة أو يقرؤها)) [٥٨] ويضيف الباحث نفسه " اما تفسير " شبرنفر ((الذي يفيد ان اقرأ تعني هنا اقرأ كتب اليهود والمسيحيين المقدسة)) [٥٩] . لذلك يرى الباحثون اننا لكي نفهم الآيات ومنها الاية موضع البحث ان يعرف المفسر أو الباحث (أوضاع اللغة العربية واسرارها فتعينه على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب)) [٦٠] ويثني بعض الباحثين على من اتبع طرائق العرب ولغتهم في تفسير القرآن يقول احد الباحثين : ((وكنت وانا اقرأ تفسير الآيات الكريمات في هذا الكتاب الكبير، ألحظ كثرة استشهاد المؤلف بالشعر العربي، شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين العظام الذين سبقوه)) [٦١] . فالذي لا يعرف طرائق كلام العرب سيكون فهمه للايات ناقصا مما يجعله يتأول المعنى على حسب رأيه وهو مما يؤدي إلى الفهم الخاطئ ومن ثم التفسير الخاطئ مما جعل معاني الآيات تذهب بعيدا عن سياقاتها ودلالتها، لذا علينا فهم الآيات على وفق طريقة من نزل القرآن بلغتهم ففي هذه اللغة والفاظها تظهر ((تبدلات خارجية، تكمن جذورها في تبدل المرجع أو الشيء دون تبدل الاسم، وذلك مثل كلمة ((عين)) والتي تكون للباصرة، وللجاسوس، ولعين الماء)) [٦١] . وقد فهم كثير من المفسرين هذه الخاصية في العربية فحاولوا تفسير الآيات على ما استعمله العرب حتى لا يكون المعنى غير المقصود نقل لنا الطبطبائي في تفسيره عن الامام الصادق قوله (عليه السلام) : ((اليد في كلام العرب القوة والنعمة، في قوله تعالى : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } (ص / ٧٥) وقال تعالى : { وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ]] (الذاريات / ٤٧) [٦٢]، ودلالة الفعل اخذ لا نستطيع حملها على المعنى الاصل في قوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (الأعراف/١٩٩)، وقوله تعالى : {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } (غافر / ٥)، فكلمة ليأخذوه لفظة جزلة، لا يسد مسدها أي لكمة اخرى نحو : ليقتلوه، أو ليرجموه وغيرها)) [٦٣] . فمثل هذه الاستعمالات للكلمة الواحدة وتعدد المعنى لها بحسب السياق والمقام وقصد المتكلم ؛ يؤكد ان العرب تستعمل اللفظة للدلالة على معان مختلفة، لذا نرى ان المعنى الاقرب للدلالة وقصد المتكلم للفعل (اقرأ) في الاستعمال هو (بلغ) فيستقيم المعنى حسب السياق المصاحب ؛ لان الامر امر بالدعوة إلى التوحيد فيكون استعمال (اقرأ) بمعنى بلغ هو للتلطف بدعوتهم إلى دين الله الجديد وهو الاسلام ((ونزيد على ذلك ان اللطف والرفق واللين في مقام الدعوة يشعر الانسان بانسانيته، ويوحي انه امام دعوة تفيض بالحب والحنان والحياة النابضة بالروح الايمان، الخير)) [٦٤] .
ويبدو ان الاستفهام بجملة (ما أقرأ ؟) تكرر اكثر من مرة مع الروح الامين، فقد ذكر الطبرسي في آية الولاية ما نصه : ((محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من

اهلي عليا اشدد به ظهري، قال أبو ذر : فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبريل (عليه السلام) من عند الله فقال : يا محمد اقرأ، قال : وما اقرأ قال : اقرأ { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا . . } [٦٥] . مع ملاحظ ان الاستفهام خرج لمعنى مجازي وهو التعجيل والتلهف لسماع ما سيقوله الروح الامين ليبلغه الى المسلمين .

ثانيًا:

أما الذين اوردوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله) (ما أنا بقارئ) فهذه الرواية قد سببت ارباكا وخلافا بين المسلمين . فالسياق ومقام الحال في العملية التواصلية بين جبريل (عليه السلام) الذي يمثل المتكلم، والرسول (صلى الله عليه وآله) الذي يمثل المستمع، تبدو وكأنها منقطعة، وهو ما يرد على من فسر (ما أنا بقارئ)، فإذا أردنا ان نصور العملية حسب السياق ومقام الحال فحينما يأمر جبريل (عليه السلام) وهو ينقل ما ارسل به من الله عز وجل الى عبده محمد (صلى الله عليه وآله) بان يقرأ، ويرد المأمور ما أنا بقارئ، فالله يعلم خفايا خلقه وما هم عليه، فليس من المنطق ان يعلم الله عدم قدرة النبي على القراءة ويأمر أن يقرأ، أو يرسل صحيفة مكتوب فيها ليقرأ، ويردد محمد (صلى الله عليه وآله) بعدم معرفته للقراءة . فيكون الامر اشبه بالعبث حاشا لله .

لذلك نرى ان (اقرأ) يجب الا تحمل على المعنى الظاهر أو المعنى الحرفي للقراءة . وان اراد بعض المفسرين ان يوحي بثبوت وحقيقة هذا الموقف من الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلال التفسير بالرأي، وهو ((تأويل النص بغير علم، والتعامل مع القرآن بما يريد منه الانسان، وليس بما يريد منه الله تعالى، واسقاط الخلفية الفكرية للانسان على علوم القرآن، وما فيها من شبهات)) [٦٦] .

ويصف احد الباحثين هؤلاء الذين تأولوا الآيات على حسب اهوائهم فقال : ((فأخذ يتأول القرآن على غير تأويله، وسلك في شرح نصوصه طريقا ملتوية فيها تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول، وكان الذي رمى به في هذا الطريق . . . هو تسلط العقيدة على قلبه ولسانه، . . . فحاول ان يأخذ من القرآن شاهدا على صدق بدعته)) [٦٧] . ولعل ما جاء على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) يؤكد معنى (اقرأ) بـ (بلّغ) ويرد على هؤلاء وتأويلاتهم البعيدة . ذكر ابن إسحق في سيرته قول النبي (صلى الله عليه وآله): ((ما بهذا بعثت لكم إنما جئتكم من الله ما بعثني به، وقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة)) [٦٨] ويورد في موضع آخر هذا المعنى فيقول : ((امر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصبر لله في رسالته وتبليغ ما امر به)) [٦٩] .

لذا نحن لا نبتعد عن سياق الآية والمقام المصاحب إذا ما قلنا إن معنى (اقرأ) في هذه الاية هو (بلّغ) فيستقيم المعنى والدلالة مع السياق، ويوافق استعمال العرب وكلامها ؛ لأن ((ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته)) [٧٠] .

ثالثًا - دلالة (النبي الأمي) :

فضلا عمّا قاله بعض المفسرين في قوله تعالى (اقرأ) بنى اغلب الباحثين من الذين قالوا في (أمية) الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) على بعض الآيات التي ورد فيها لفظ (الأمي)، وقبل ان نستدل على معاني الآيات لابد من الاشارة إلى نظام اللغة العربية وقواعده النحوية المستعملة في معرفة معنى (الأمي) على انها صيغة صرفية من باب النسب، وهي صيغة يلجأ اليها المتكلم ليدل على الانتساب إلى قبيلة، أو مدينة، أو حرفة، وغيرها مما يوجبه ويتطلبه المعنى المقصود من الكلام .

والنسب له قواعد واحكام فصلها النحويون، منها الحاق ياء مشددة في اخر الاسم، وذكروا قواعد النسب للاسم بكل انواعه، فالاسم المفرد له قاعدة يجب ان تتبع مع حرفه الاخير قبل اضافة ياء النسب، ومنها القواعد الخاصة بالاسم المركب الذي اصبح كالاسم الواحد، قال سيبويه في النسب للاسم المركب ((إعلم انه لابد من حذف احد الاسمين في الاضافة . . . فمنه ما يحذف منه الاسم الاخر، ومنه ما يحذف منه الاسم الاول . وانما لزم الحذف احد الاسمين ؛ لانهما اسمان قد عمل احدهما في الاخر، وانما تريد ان تضيف إلى الاسم الاول وذلك المعنى الذي تريد)) [٧١]، وقال المبرد في النسب : ((إعلم

انك إذا نسبت إلى اسمين جعلا اسما واحدا فانما النسب إلى الصدر منهما، وذلك قولك في النسب إلى حضرموت، حضري، وإلى رام هرمز، رامي))[٧٢] وفي كتاب المنهاج في شرح جمل الزجاجي حدد المقصود بالنسب بقوله : ((هو الاسم الملحق باخره ياء : عام إلى كل ما نسب اليه من أب، أو أم، أو قبيلة، أو صناعة)) [٧٣] وقال الزمخشري في كتاب المفصل : ((ومضاف إلى ما ينفصل في المعنى عن الاول : كامرئ القيس، وعبد القيس، . . . فالنسب عبدي ومرئي)) [٧٤] ويذكر العكبري في النسب إلى الاسم المركب بالاضافة : ((فاذا نسبت إلى مضاف ومضاف اليه مثل : ابن الزبير، وعبد القيس، نسبت إلى ما حصل به الشهرة)) [٧٥] .

فاذا ما اردنا ان ننسب الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المكان الذي ولد وعاش فيه حقبة من الزمن وهو مكة المكرمة، ولها اسماء اخرى مثل بكه، وأم القرى ((إذ قيل لمكة أم القرى وذلك لما روى ان الدنيا دحيت من تحتها)) [٧٦] . وهو اسم يتكون من مضاف (أم) ومضاف إليه (القرى)، فتنطبق قاعدة النسب للاسم المركب من المضاف والمضاف اليه، وهي النسب إلى الصدر وهو (أم) فتكون صيغة النسب (أمي) ؛ لأنه الصدر، والاشهر لئلا يلتبس في النسبة إلى اسم (القرى) إذا ما نسبنا إلى الجزء الثاني . فيكون لفظ (الأمي) على هذه الفكرة هو النسب إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)، لا الامية التي بمعنى عدم المعرفة، ويزيد من تأييد هذه الفكرة ويوضحها دلالة الآيات في قوله تعالى :

١) { وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } [٧٧] .
٢) { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } [٧٨] .
٣) { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ } [٧٩] .

فهذه الآيات تدل دلالة قاطعة على ان المقصود بالامي هو النسبة إلى المكان لا غير . فضلا عن هذه الايات التي وردت فيها لفظة (الأمي) وردت آيات فيها صيغة جمع مذكر لهذا المفرد وهي (الأميون)، والتي وصفت اهل مكة بـ (الأميين)، ولا ينكر احد إن أهل مكة فيهم ممن يقرأ ويكتب، ولم يقل احد من القدماء أو المحدثين بعدم معرفتهم للقراءة والكتابة، ومن هذه الآيات قوله تعالى :

١) { وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ } [٨٠] .
٢) { قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [٨١] .
٣) { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ } [٨٢] .

فمعروف عن اهل مكة انهم تجار وهناك اشارات كثيرة تدل على معرفتهم للقراءة والكتابة كالمعاهدات التي كتبوها، ومعلقات الشعراء، وقد ذكر الماوردي اهتمامهم بالكتابة فقال : ((كانت العرب تعظم قدر الخط، وتعده من اجل المنافع حتى قال عكرمة : بلغ فداء اهل بدر أربعة آلاف، حتى ان الرجل ليفادي على انه يعلم الخط، لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره)) [٨٣] والتاريخ يحدثنا ان الاسرى في معركة بدر كلهم من مكة وهو مما يؤيد الفكرة ان اهلها ممن يقرأون ويكتبون، ويذكر باحث ما يؤيد ان المقصود بالاميين ليس عدم معرفتهم للقراءة والكتابة فيقول : ((والحق ان ادعاء الامية في العرب، وجهلهم بالقراءة والكتابة اعتمادا على بعض الايات التي اخذوا جانبا منها وتركوا جانبا اخرى، افتراء على الحق وجهل بالتاريخ . . . فليس المقصود الامية الكتابية ولا العلمية، وانما يعني الامية الدينية، أي لم يكن لهم قبل القرآن كتاب ديني)) [٨٤] وقد ذكر القرآن ان العرب تقرأ عندما قال تعالى:{ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ } [٨٥] . وبناء على هذا نستطيع القول ان معنى (الأمي) و (الأميون) هي نسبة إلى مكة المكرمة والتي من اسمائها المعروفة (أم القرى) وهو اسم متداول في كلام العرب ومستعمل في لغتهم وتواصلهم اللغوي لذا قال تعالى : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ} [٨٦] { فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ } [٨٧] .

خامسا - قوله تعالى (ولا تخطه بيمينك) :

وهي من الآيات التي تمسك بها من قال بعدم معرفته (صلى الله عليه وآله)، واتخذها دليلا لا يرد كونها بنص القرآن ونص الآية قوله تعالى { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}[٨٨].

فإذا اردنا ان نفهم المقصود من الاية تماما علينا ان ننظر إلى سياقها، والعلاقات اللغوية الداخلية والخارجية، والتي تعد من محددات الدلالة كما يرى اتجاه البحث في الدراسات النصية التواصلية، والتي تبحث بكل ما يحيط بانتاج النص لفهم دلالته، يقول أحد الباحثين : ((لا خلاف حول صعوبة البحث، إذ ان السمة الجوهرية الفارقة عن البحوث الاخرى تكمن فيما اطلق عليه التداخل المعرفي ؛ بمعنى ان ذلك النص دراية موسعة في فروع مختلفة))[٨٩].

ولفهم هذه الآية والمقصود منها هناك اشارات اجتماعية، وتاريخية، وثقافية لابد من معرفتها، لعل من اهمها معرفة اوضاع مكة قبل البعثة من جهة معرفتهم بان هناك رسولاً سيبعث، وهو ما ذكر اكثر المؤرخين للبعثة النبوية الشريفة، فقد عرف اهل مكة وغيرهم ان هناك رسول يبعث في مكة، وساعدهم في ذلك كتب اليهود والنصارى، واكد القرآن معرفتهم للرسول (صلى الله عليه وآله)، وصفاته المذكورة عندهم، قال تعالى : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}[٩٠] . وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } [٩١] . وقد ذكر الباحثون معرفة اليهود، والنصارى، والعرب لصفات النبي الذي سيبعث قال احد الباحثين: ((في الكتب السماوية ذكر وصف النبي (صلى الله عليه وآله))) [٩٢] . ويؤكد قطب الدين الراوندي حادثة نذكر منها : ((فلما قبضه اليهودي قال : اني وجدت نعت محمد في الكتب فوجدته لا يغضب، واني ما بايعته الا لاجربه)) [٩٣] . وقال ابن اسحق في سيرته:((وكانت الاحبار والرهبان اهل الكتابين هم اعلم برسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل مبعثه وزمانه الذي يرتقب فيه من العرب، لما يجدون في كتبهم من صفاته، وما اثبت فيها عندهم من اسمه))[٩٤]. وهذه الاخبار التي تشير إلى ظهور نبي في مكة دفع بعض اهلها للتشبه بالصفات التي وجدوها في الكتب لعـــل اشهرهم زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل، وعثمان بن الحارث، وعبد الله بن جحش، يروي ابن اسحق عن زيد بن عمرو وتشبهه بصفات النبي فقال : ((كان الخطاب بن نفيل قد اذى زيد بن عمرو بن نفيل حتى خرج عنه إلى اعلى مكة، فنزل حراء، مقابل مكة، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفائهم، فقال لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرا))[٩٥] .

فالله سبحـــانه وتعالى بعلمه الغيب، وســـره المكنون علم ان هناك من سوف يقرأ هذه الكتب، ويحاول ان يتشبه بسيرة النبي المختار وصفاته ثم يدعي النبوة، فابعد عمن اختاره للرسالة والنبوة كل ما قد يكون طعنا أو بابا للشك، وهذا من الطاف الله عز وجل في شخص النبي (صلى الله عليه وآله) وهذه العناية ليست جديدة، فهناك اشارات كثيرة تشير إلى عناية الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة . لعل اشهرها قصة السحابة التي بقيت تضلله في تجارته إلى الشام .

وهناك قصة شق الصدر التي تواترت الروايات في ذكرها، وذكر انها تكررت اكثر من مرة جاء في السيرة انه ((قد تكرر شق الصدر هذه المرة لينشأ على اكمل الحالات واتم الصفات، والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين، أو عشرين سنة))[٩٦]، ومنها الكرامة التي ظهرت في اختيار المرضعة له . إذ جعله الله لا يقبل أي مرضعة إلا التي اختارها ((فما قبل (صلى الله عليه وآله) منهن احد وبقين متحيرات . فخرج عبد المطلب مهموما وقعد عند ستارة الكعبة فدله عقيل بن أبي وقاص على امرأة عاقلة هي افصح لسانا، واصبح وجها، وارفع حسبا ونسبا حليمة . . . لقد رفض (صلى الله عليه وآله) ثدي النساء إلا ثدي حليمة))[٩٧] . أما الكرامات التي ظهرت في بني سعد من اجله فترويها لنا مرضعته نفسها إذ تقول : ((ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، لبنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب انسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ؛ ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذؤيب، فتروح اغنامهم، جياعا ما تبض قطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا))[٩٨] .

هذا الاعتناء بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) من قبل الخالق عز وجل، والاهتمام بجعلها من الشخصيات التي لا يرقى اليها شك، أو طعن من طاعن، مما يمكننا بالدفع في اتجاه ان الله سبحانه وتعالى لم يجعله يطلع على كتب اليهود، ولا كتب النصارى حتى لا يكون مما يطعن به المشركون، ومع ذلك طعنوا، واكثرهم طعنا هو النضر بن الحارث فقد كان ((من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله) . . . وكان رسول الله إذا جلس مجلسا يذكر فيه بالله ويحذر قومه ما اصاب من قبلهم الامم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم يقول : انا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه)) [٩٩] . وقد ذكر بعض الباحثين ان النضر ((كان يذهب إلى الحيرة يتعلم من اهلها اخبار الفرس واساطيرهم، وسير ملوكهم وقوادهم، وقد كان يلهو بهذه الاساطير . . . ويقول : والله ما محمد باحسن حديثا مني، وما حديثه الا اساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبها)) [١٠٠] . وهو الذي انزل فيه قوله تعالى : { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [١٠١] . وبمعرفتنا لهذه المواقف قبل الدعوة، وبعدها نستطيع فهم السبب لقوله تعالى : { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} .

فقوله عز وجل (لا رتاب المبطلون) يؤكد عنايته سبحانه وتعالى برسوله وتهيئته للرسالة وتربيته تربية إلهية تحصنه، وتجعله موضع ثقة وشرف رفيع، وهو ما تأكد في سيرته (صلى الله عليه وآله) حتى لقب بالصادق الامين، ولكنهم مع معرفتهم بصدقه وامانته لم يتورعوا عن وصفه بكل الصفات التي تظهره بالمبتدع حماية لما كانوا عليه من الشرك، ولعل هذه الفكرة بقيت متأصلة في نفوسهم لما بعد فتح مكة فوضعوا على لسانه قوله: (ما أنا بقارئ) .

وإذا ما نظرنا إلى القرآن على انه نصٌ متكاملٌ يفسر بعضه بعضا، وهو المنهج الاساس في استنطاق نصوصه، وكشف معانيه، واستخراج دلالاته، ولذلك كان منهج تفسير القرآن بالقرآن يستنفذ حضورا قويا وفاعلا في نجاح المفسر [١٠٢] .

خاتمة واستنتاجات

إن مدار الرسالات السماوية هو الابلاغ بما أمر الله سبحانه وتعالى من عباده والالتزام بحدوده، واجتناب ما نهى عنه، والاسلام ليس بدعا عن باقي الرسالات. فاول اية هي للتبليغ أو امر للتبليغ، واخر اية على اكثر الروايات قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } [١٠٣] . وبين الآية الاولى والاية الاخيرة آيات بينات تؤكد أن دور الرسول (صلى الله عليه وآله) هو التبليغ كقوله تعالى :

١) { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } سورة آل عمران / ٢٠ .
٢) { أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}سورة المائدة / ٩٢ .
٣) {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} سورة المائدة / ٩٩ .
٤) { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } سورة الرعد / ٤٠ .
٥) { فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة النحل / ٣٥ .
٦) { فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة النحل / ٨٢ .
٧) { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة النور / ٥٤ .
٨) { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة العنكبوت / ١٨ .
٩) { وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة يس / ٧ .
١٠) { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاَغُ } سورة الشورى / ٤٨ .
١١) {فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } سورة التغابن / ١٢ .

فهذه الآيات وغيرها تؤكد على ان المعنى الاقرب لـ (اقرأ) هو بلغ، ولو نظرنا إلى التراكيب التي استعملها القرآن في هذه الآيات سنجدها تستعمل الاداة (إنما) والتي تفيد الحصر أو القصر، والأداة (إلا) التي تفيد الاستثناء فانما تحصر أو تخصص الاسم بمعنى واحد لا يحتمل معان اخر وهو هنا (البلاغ) فنقصر عمل الرسول (صلى الله عليه وآله) بالتبليغ .

أما (إلا) فهي أداة استثناء والاستثناء يعني اخراج الاسم الذي يأتي بعد إلا من حكم ما قبلها وفيها احكام وانواع ليس هنا محل شرحها، ولكنها تؤدي كلها إلى اخراج الاسم من حكم ما قبل إلا وهو هنا (البلاغ)

وهنا في هذه الآيات نفي أي عمل غير البلاغ . ونذكر من كلام الإمام علي (عليه السلام) ما يعزز ما ذهبنا اليه من أن (اقرأ) بمعنى بلغ . قال (عليه السلام) وهو يروى ما يعلمه الرســـول (صلى الله عليه وآله) : ((ما نزلــت عليه آية من القـــرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي . ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني)) [١٠٤] .

هوامش البحث

١) سورة ص، الآية : ٤٢ .
٢) سورة إبراهيم، الآية : ٢٤ .
٣) سورة الفتح، الآية : ١٠ .
٤) سورة إبراهيم، الآية : ٤ .
٥) سورة الشعراء، الآية : ١٩٥ .
٦) سورة الأحقاف، الآية : ١٢ .
٧) سورة النحل، الآية : ١٠٣ .
٨) الأسس الابستمولوجية والتداوية،٣٧٦ .
٩) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٩٢ .
١٠) بنية الجملة العربية وأسس تحليلها، ٢٥ .
١١) البيان والتبيين، ٢ / ١٣٩ .
١٢) البحث النحوي عند الأصوليين، ١٠ .
١٣) الكتاب، ٢ / ٣٤٤ .
١٤) المقتضب، ٢ / ٢٢٢ .
١٥) جواهر البلاغة، ٥٧ .
١٦) التراث اللغوي العربي، ١٤١٢ .
١٧) التداولية عند العلماء العرب، ٣٨ .
١٨) مقولة الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث، ٢٤ .
١٩) شرح نهج البلاغة ، ٢٢٣ .
٢٠) شرح القصائد العشر، ١٤٤ .
٢١) الأضداد، ٦ .
٢٢) ظاهرة الالتباس في اللسان العربي، ٥١ .
٢٣) أسرار البلاغة، ٣٠٤ .
٢٤) الإتقان في علوم القرآن، ٣٦١ .
٢٥) العقد الفريد، ٥ / ١٦٧ .
٢٦) البيئة الأدبية في الحيرة، ١٥٧ .
٢٧) العين، ٥ / ٢٠٤ (قرء) .
٢٨) الغريب المصنف، ٥٦٨ .
٢٩) العباب الزاخر واللباب الفاخر، ١ / ٩٥ (قرء) .
٣٠) لسان العرب، ١ / ١٥٧ (قرأ) .
٣١) تاج اللغة وصحاح العربية، ١ / ٦٤-٦٥ مادة (قرأ) .
٣٢) تهذيب اللغة، ٩ / ٢٥٧ (قرأ) .
٣٣) المفردات في غريب القرآن، ٤١٩ .
٣٤) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، ١١ .
٣٥) المستدرك على الصحيحين، ٤ / ٨٩، كتاب معرفة الصحابة .
٣٦) فيض الغدير، ٢ / ٨٦ .
٣٧) السنن الكبرى، ٩ / ١٤١ .
٣٨) تفسير القرآن العظيم، ١ / ٢٧٤ .
٣٩) مكارم أخلاق النبي والأئمة، ٨٩ .
٤٠) البحث البلاغي عند العرب، ١١٤ .
٤١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٠ / ١٨٨ .
٤٢) تفسير القرطبي، ٢٠ / ٩١ .

٤٣) الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعالبي، ٢ / ٤٩٦ .
٤٤) أصول تحليل الخطاب، ١ / ٢٧١-٢٧٢ .
٤٥) السيرة النبوية، ابن إسحق، ١ / ١٢١ .
٤٦) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٧٣/١ .
٤٧) السيرة النبوية، نجاح الطائي، ١٦٢/١ .
٤٨) روح المعاني ٤٠١/١٠ .
٤٩) تقريب القرآن إلى الأذهان، ٧٠٤/٥ .
٥٠) تفسير القرطبي، ٩١/٢٠ .
٥١) تفسير القرآن العظيم، ٥٦٤/٤ .
٥٢) فتح القدير، ٦٦٥/٥ .
٥٣) المصدر نفسه، ٦٦٤/٥ .
٥٤) التفسير الكبير، ١٣/٣٢ .
٥٥) التبيان في تفسير القرآن، ٣٧٨/١٠ .
٥٦) تفسير غرائب القرآن، ٥٢٨/٦ .
٥٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٥٠٣/٣ .
٥٨) تاريخ القرآن، ٧٤ .
٥٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه
٦٠) التفسير والمفسرون، ٤٢/١ .
٦١) الكلم الشوارد في الشعر المستشهد به في مجمع البيان، ٤٧٢ .
٦٢) العلاقات الدلالية، ١١ .
٦٣) تفسير البيان، ٣١٠/٣ .
٦٤) أساليب البيان في القرآن، ٨٣ .
٦٥) أسلوب الدعوة في القرآن، ٣٦ .
٦٦) مجمع البيان، ٣٦٢/٣ .
٦٧) أهداف القرآن في أم الكتاب، ٦١ .
٦٨) التفسير والمفسرون، ٨/٣ .
٦٩) السيرة النبوية، ابن إسحق، ١٩٨ .
٧٠) المصدر نفسه، ١٣٤ .
٧١) المفردات في غريب القرآن، ٩ .
٧٢) الكتاب، ٣٧٥/٣ .
٧٣) المقتضب، ١١٩/٢ .
٧٤) المنهاج في شرح جمل الزجاجي، ١٤٠/٢ .
٧٥) المفصل في صنعة الإعراب، ٢٥٩ .
٧٦) اللباب في علل البناء والإعراب، ١٥٦/٢ .
٧٧) المفردات في غريب القرآن، ٢٧ .
٧٨) سورة الأنعام، الآية : ٩٠ .
٧٩) سورة القصص، الآية : ٥٩ .
٨٠) سورة الشورى، الآية : ٢٨٢ .
٨١) سورة آل عمران، الآية : ٢٠ .
٨٢) سورة آل عمران، الآية : ٧٥ .
٨٣) سورة الجمعة، الآية : ٢ .
٨٤) أدب الدين والدنيا، ٤٤ .
٨٥) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ١٥ .
٨٦) سورة الإسراء، الآية : ٩٣ .
٨٧) سورة الأعراف، الآيتان : ١٥٧، ١٥٨ .
٨٨) سورة العنكبوت، الآية : ٤٨ .
٨٩) علم لغة النص، أ .
٩٠) سورة الأعراف، الآية : ١٥٧ .
٩١) سورة الصف، الآية : ٦ .

٩٢) مكاتيب الرسول، ٨٨/١ .
٩٣) مكارم أخلاق النبي والأئمة، ٧٤ .
٩٤) السيرة النبوية، ابن إسحق، ٨٣ .
٩٥) المصدر نفسه، ١١٧ .
٩٦) السيرة النبوية، أحمد بن زيني دحلان، ٦٢/١ .
٩٧) السيرة النبوية، نجاح الطائي، ٧٤، ٧٥ .
٩٨) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٠١/١ .
٩٩) السيرة النبوية، أبن إسحق، ٢٠١ .
١٠٠) البيئة الأدبية في الحيرة في ظلال دولة المناذرة، ٨٤/٨٣ .
١٠١) سورة الفرقان، الآية : ٥ .
١٠٢) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآن، ٣٥ .
١٠٣) سورة المائدة، الآية : ٩٧ .
١٠٤) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص٧٧ .

مكتبة البحث

❖ القرآن الكريم .
١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١١.
٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ .
٣) أدب الدين والدنيا، الماوردي، حققه مصطفى السقا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨.
٤) أساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٤١٣هـ .
٥) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه رشيد رضا، قم، منشورات الرضى .
٦) الأسس الابستمولوجية والتداولية، إدريس مقبول، إربد، عالم الكتب، ٢٠٠٧ .
٧) أسلوب الدعوة في القرآن، حسين فضل الله، بيروت، دار الملاك، ١٤١٨هـ .
٨) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، تونس، المؤسسة العربية، ٢٠٠١ .
٩) الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٨ .
١٠) أهداف القرآن في أم الكتاب، مكي قاسم البغدادي، دمشق، نشر المؤلف نفسه، ٢٠٠٨ .
١١) البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، شفيع السيد، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٧.
١٢) البحث النحـــوي عنـــد الأصوليين، مصطفى جمال الدين، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠.
١٣) بنية الجملة العربية وأسس تحليلها، السعيد شنوقة، القاهرة، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠ .
١٤) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٠ .
١٥) البيئة الأدبية في الحيرة في ظلال دولة المناذرة، إبراهيم الصخيان، الرياض، لا ناشر، ١٤٢٥هـ .
١٦) تاريخ القرآن، تيودور نودكلة، ترجمة جورج تامر، ألمانيا، منشورات الجمل، ٢٠٠٨.
١٧) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤ .
١٨) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، تحقيق أحمد العاملي، بيروت، دار أحياء التراث العربي .
١٩) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، فخرية قادر، إربد، عالم الكتب، ٢٠١١.
٢٠) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥ .
٢١) التراث اللغوي العربي، حسام البهنساوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤.
٢٢) تفسير البيان، محمد حسين الطبطبائي، تحقيق أصغر إرادتي، قم، نشر آثار الطبطبائي.
٢٣) تفسير غرائب القرآن، نظام الدين النيسابوري، ضبطه زكريا عمران، بيروت، دار الكتب.
٢٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، بيروت، دار المعرفة .
٢٥) تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله؛ المحقق: عبد الله بن عبد المحسن سنة ٢٠٠٦.
٢٦) التفسير الكبير، الفخر الرازي، طهران، دار الكتب العلمية .
٢٧) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، أوند دانش للطباعة، ٢٠٠٥ .
٢٨) تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي، بيروت، دار العلوم .
٢٩) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية .

٣٠) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، بيروت، دار الوفاق .
٣١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، حققه أبو محمد الحسيني، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٦ .
٣٢) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو، عبد العال مكرم، الكويت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.
٣٣) روح المعاني، أبو الفضل الآلوسي، ضبط علي الباري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١ .
٣٤) السنن الكبرى، البيهقي، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٥ .
٣٥) السيرة النبوية، ابن إسحق، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨ .
٣٦) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مشترك، بيروت، دار أحياء التراث العربي .
٣٧) السيرة النبوية، أحمد بن زيني دحلان، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١ .
٣٨) السيرة النبوية، نجاح الطائي، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠١ .
٣٩) سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري، النجف، جنة البقيع، ٢٠١٤.
٤٠) شرح القصائد العشر، التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق، ١٩٨٠ .
٤١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٤ .
٤٢) ظاهرة الالتباس في اللسان العربي، كمال الزيتوني، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٣ .
٤٣) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغاني، تحقيق فير محمد، بغداد، المجمع العلمي، ١٩٧٨ .
٤٤) العقد الفريد، عبد ربة الأندلسي، شرح أحمد أمين وآخرون، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٥ .
٤٥) العلاقات الدلالية، عبد الواحد حسن الشيخ، القاهرة، الإشعاع الفنية، ١٩٩٩ .
٤٦) علم لغة النص، سعيد البحيري، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧ .
٤٧) العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، دار الشؤون، ١٩٨٦ .
٤٨) الغريب المصنف، أبو عبيدة القاسم بن سلام، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار الفيحاء، ٢٠٠٥ .
٤٩) فتح القدير، الشركاني، تحقيق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٥ .
٥٠) فيض الرحمن تفسير جواهر الرحمن،
٥١) فيض القدير عبد الرؤوف المناوي، ضبطه أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ .
٥٢) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٩.
٥٣) الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعالبي، تحقيق سيد كروي حسن، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٤ .
٥٤) الكلم الشوارد، عبد الرزاق الهلالي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١ .
٥٥) اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠١ .
٥٦) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عامر حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.
٥٧) مجمع البيان في تفسير القرآني، الطبرسي، تحقيق مشترك، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥ .
٥٨) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٢ .
٥٩) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، بيروت، دار أحياء التراث، ٢٠٠٨.
٦٠) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ .
٦١) المقتضب، المبرد، تحقيق حسن حامد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ .
٦٢) مقولة الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث، عثمان شريجة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١ .
٦٣) مكاتيب الرسول، علي الأحمدي، دار الحديث، ١٩٩٨ .
٦٤) مكارم أخلاق النبي والأئمة، قطب الدين الراوندي، تحقيق حسين الموسوي، كربلاء، العتبة العباسية، ٢٠٠٩ .
٦٥) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار الأعرجي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٨ .
٦٦) المنهاج في شرح جمل الزجاجي، تحقيق هادي عبد الله، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٩.